

علم العلاقات الدولية و القيم أية علاقة ؟

الدكتور: محمد عدار

جامعة "أمحمد بوقرة" - كلية الحقوق بودواو

البريد الإلكتروني: addar2001@yahoo.fr

الملخص:

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن إشكالية العلاقة بين أدبيات علم العلاقات الدولية الناشئة منذ عشرينيات القرن الماضي و القيم كغايات و أهداف و مقاصد مرتبطة بالأفراد و الدول على حد السواء، حيث أنه بفعل تأثير المنهجية الوضعية، أضحت أدبيات هذا العلم محايدة عن القيم في إطار المنظومة المنهجية الغربية التي بدورها، فأصبحت مفردات: القوة، الصراع، الحرب، من ضمن الأبنية المفاهيمية لهذه المنظومة على حساب التوجهات المقاصدية و السننية للقيم التي يحفل بها الفكر السياسي عند المسلمين التي متى تم تفعيلها حصل العرفان، العمران و الاستخلاف.

الكلمات المفتاحية: القيم، المنهجية الوضعية، المقاصد، السنن، علم العلاقات الدولية.

Résumé :

Cette étude se penche sur une problématique épistémologique, celle de trouver une relation entre le répertoire théorique des relations internationales (RI) et les valeurs comme des buts liés aux individus qu'aux pays.

On peut dire que le champ de RI , sous l'influence du positivisme, est apparu comme « science de la valeur neutre » ce qui engendre les rapports de force , guerres entre nations et autres.

Cette neutralisation des valeurs est faite au détriment des valeurs musulmanes , où elle deviennent universelles, l'humanité inspire la tolérance, paix et prospérité.

Mots clé : valeurs, positivisme, le RI, finalité,

مقدمة:

إذا كانت "الوضعية"، "positivisme" ل"أوجست كونت" (1798 م-1857م) قد استطاعت استبعاد النظرة الميتافيزيقية من مجموع النشاط المعرفي للإنسان⁽¹⁾ سواء في العلم الطبيعي أو العلم الإنساني، حيث أن علم العلاقات الدولية لا يخرج عن هذه "الاكتفائية"⁽²⁾ فإن هذه المنهجية الوضعية بدورها قد لحقتها أعطاب خاصة ما تعلق بأسس بنائها المنهجي والمعرفي.

(1) محمد، محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، ط4 (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2008) ص 15

(2) مرجع، سابق، ص 15.

استند علم العلاقات الدولية وفق المنهجية الوضعية على تطبيق أسس البحث العلمي القائمة على الملاحظة و التجريب، الأمر الذي أدى بجملة من الاجتهادات النظرية⁽³⁾ المنادية بضرورة "عدم الانطلاق من افتراضات و مسلمات مسبقة عن الظاهرة السياسية تفترض بوجود حقيقة أو حقائق بعيدة عن إرادة الفرد تعد مسؤولة عن العلاقة السببية بين ظاهرة سياسية ما و مسبباتها"⁽⁴⁾ كما تدعو لإعادة الاعتبار لتأثير العوامل الثقافية، القيمية و الاجتماعية في تكوين رؤية الفرد للظاهرة أو المنظومة المعرفية التي سادت علم العلاقات الدولية طيلة فترة هيمنة المنهجية الوضعية على تقاليد النظرية.

تندرج هذه الدراسة ضمن الأبحاث المنهجية و المعرفية في حقل العلاقات الدولية، غير أن المقصود بالمنهجية ليس تلك الطريقة المتبعة -من طرف باحث العلاقات الدولية- في كشف حقيقة ما أو البرهنة عليها، بل يتعلق الأمر، بتوظيف تلك الخلفيات، التصورات و المفاهيم الفلسفية المؤلفة لسلطته المرجعية، إذ تساهم في تشكيل منظومة مفاهيمه المعتمدة و التي يقتضيها مجال البحث، فالمنهجية المقصودة هي "العقل"⁽⁵⁾ الذي تشكل عبر مسار تاريخي، حتى أضحت سلطة في مجال البحث العلمي، فإذا كانت الدراسة تجاري هذه الاجتهادات النظرية في توجيه النقد للمنهجية الوضعية، سرعان ما تتحول عنها لترسم مساراً بديلاً يبحث في كيفية إيجاد العلاقة بين القيم و علم العلاقات الدولية من زاوية التأصيل⁽⁶⁾ و التوجيه⁽⁷⁾ لهذا العلم.

إشكالية الدراسة: بناء على ما تقدم، يمكن طرح الإشكالية التالية:

كيف يمكن تأسيس العلاقة بين علم العلاقات الدولية و منظومة القيم الحضارية للعالم الإسلامي ؟

1- في التععيد المفاهيمي للقيم :

أ-التعريف اللغوي للقيم: تعددت تعريفات القيم، و ذلك تبعاً للإطار المرجعي الذي يخضع له كل باحث -كما أشرنا سالفا- حيث يمكن تناول تعريفات للقيم من خلال:

■ القيم عند العرب:ورد في معجم "لسان العرب" لابن منظور⁽⁸⁾ تحت مادة "قوم" للدلالة على القيام الذي هو نقيض الجلوس، و نجد أيضاً : القامة، جمع قائم بمعنى القيام و العزم، ومنه قوله تعالى: " و أنه لما قام عند الله يدعوه"⁽⁹⁾ أي لما عزم .

كما ورد القيام بمعنى الإصلاح و المحافظة، ومنه قوله تعالى: " الرجال قوامون على النساء"⁽¹⁰⁾.

يبدو أن معنى القيمة في الآيات السابقة قريباً إلى مجال تداول القيم في الوقت الحالي: بمعنى التقويم: أي ما يجب أن تكون عليه الأشياء من فضائل.

(3) Samuel , Knafo, y a-t-il une voie au- delà du positivisme ? les approches critiques et le débat épistémologique en relations internationales, Revue Etudes internationales, vol 39, no 3, 2008, p388.

(4) خالد موسى، المصري، الوضعية و نقادها في العلاقات الدولية (دراسة نقدية للنظريات الوضعية)، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية

المجلد 30، العدد الأول، 2014، ص 318 .

(5) محمد، أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية و المعيارية، مرجع، سابق، ص 14.

(6) إبراهيم، رجب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الثالث، السنة الأولى، 1996، ص 51 .

(7) نفين عبد الخالق، مصطفى، مدخل لصياغة مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم (دراسة و تطبيق على علم السياسة) (في مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، القاهرة، أكتوبر، 1992، ص 840 .

(8) ابن منظور، لسان العرب، ط4، المجلد الثاني عشر (بيروت: دار صادر، 2005) ص 225، مادة قوم .

(9) سورة الجن، الآية 19 .

(10) سورة النساء، الآية 34 .

■ القيم عند الغرب: وردت عدة تعاريف لغوية للقيم في المنظومة المعرفية الغربية، فتدل عند الفرنسيين والإنجليز على -حد السواء- على معنى "الشجاعة في القتال" (11) كما عرفت القيم معاني أخرى: فهي تدل على "الثمن" في المجال الاقتصادي، وعلى "العدد" في المجال الرياضي، كما عرف القيم، استخداماً في مجال الأخلاق، حيث يشير لتلك الأحكام التي يكونها الشخص ومدى تطابق تلك الأحكام مع ما يراه المجتمع.

ب-التعريف الاصطلاحي للقيم: إذا كان تعريف القيم من الناحية اللغوية، يعرف تعددية عند كل من العرب والغرب فإنه في نفس الوقت، يتميز تعريف القيم بالتعدد المفاهيمي عند كل من الفكر العربي والغربي :

■ القيم في الفكر العربي المعاصر: ربط "مالك بن نبي" بين الثقافة والقيم باعتبارهما: "مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه، فالثقافة على هذا النحو هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته" (12)، في حين أن "محمد عابد الجابري"، تعامل مع تعريف القيم في شكل تصاعدي: فيعرفها في الأول في صورة القيم الثابتة والمستقلة عن إرادة الأفراد، ثم انتقل على الجانب الأخلاقي، فأصبحت مرادفة للفضيلة (13)، أما "طه، عبد الرحمن، فيرى أن القيم تعني: "المعنى الخلقى الذي يستحق أن يتطلع إليه المرء بكلية ويجتهد في الإتيان بأفعاله على مقتضاه" (14).

يمكن الوصول لصياغة تعريف إجرائي للقيم وذلك بالاستناد على ما ورد في التعريفات السابقة، فالقيم هي أحكام صادرة من ذات الإنسان في دراسته لظاهرة ما أو موضوع ما بالاستئناس بجملة المبادئ والمعايير عقدية كان مصدرها أم فكرية، حيث يتحدد في الأخير شكل السلوكيات المرغوب فيها أو عنها.

■ القيم في الفكر الغربي المعاصر: عرف "تالكوت، بارسونز"، "Talcott, Parsons" القيم بكونها: "أنماط ثقافية شاملة ذات جذور في التقاليد الدينية، مما يجعلها مؤثرة على واقعية السلوك الإنساني" (15)، أما "بال، روكيش"، "Sandra ; Ball-Rokeach" فاعتبرتها "معايير مثالية توجه السلوك داخل الفرد".

يمكن القول، أن مفكري الغرب تعاملوا مع القيم بمنطق "القياس" خاصة في ظل تأثير المنهجية الوضعية في التحليل، حيث أضحت عوامل النفس و خلجات الفكر عبارة عن متغيرات قابلة للقياس الكمي والتجربة (مقياس روكيش، مقياس شوارتز) الأمر الذي ينتج عنه أخطاء في عملية التنظير على مستوى العلوم الاجتماعية عموماً و علم العلاقات الدولية على وجه الخصوص .

2-القيم في المنظومة النظرية الغربية:

قبل الخوض في أخطاء التنظير الناجمة عن إخضاع القيم للقياس والتجريب، فإنه من الأجدر في الأول التطرق ل: أ-علاقة القيم بالممارسة السياسية: إذا اعتبرنا أن شؤون السياسة تنصرف لكيفية قيادة الجماعة البشرية و أساليب تدبير شؤونها، بما يتوافق مع الإصلاح والإعمار، فإن القيم تعد بمثابة العامل الموجه لما يعتقد صانع القرار أنه خير وإصلاح، حيث تؤكد الخبرة الإنسانية بدءاً باليونان، فالرواقيون والفلاسفة الطبيعيين أن هناك تداخلاً بين الأخلاق والسياسة: فتعريف "الجمهورية" عند "أفلاطون"، "Platon" هي فضاء لتحقيق الفضائل الأربعة: الحكمة، "الشجاعة، العفة والعدالة" (16).

(11) رضوان، زيادة، كيف جيه، أتول، صراع القيم (دمشق: دار الفكر، 2010) ص 24 .

(12) مالك، بن نبي، شروط النهضة، تر: عمر مسقاوي، عبد الصبور شاهين، ط4 (دمشق: دار الفكر، 1987) ص 89 .

(13) محمد، عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي -دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية -نقد العقل العربي، ج4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001) ص ص 54-55 .

(14) طه، عبد الرحمن، تعددية القيم: ما مداها؟ وما جدواها؟ (الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2001) ص 11 .

(15) سيف الدين عبد الفتاح، إسماعيل، القيم السياسية في الإسلام (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2001) ص 12 .

(16) إمام عبد الفتاح، إمام، الأخلاق والسياسة "دراسة في فلسفة الحكم" (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2001) ص 166 .

إذا كانت الفلسفة السياسية عند أفلاطون قائمة على أخلاق الفرد الفاضل، فإن "ميكافلي"، "Machiavel" قد وضع حدود للأخلاق في كتابه "الأمير" تحت إطار "الغاية تبرر الوسيلة"، فالقيم المرتبطة بعصر الأنوار في أوروبا ليست امتدادا للعصر اليوناني، إذ القانون هو الذي ينتج الأخلاق وليس العكس، و عليه، يمكن تجاوز قيم الخير والشر المتوارثة عن اليونان بقيم العدل أو الظلم وهي قيم مستمدة من الطابع المطلق لسيادة الملك في عصر الأنوار، ومن هذه الخلفية التاريخية، يمكن القول -و بحسب "ريمون بولان"، "Rymond, Polin" يمكن القول أن كل من النظام السياسي والنظام الأخلاقي يعملان في "سبيل تحقيق وجود الإنسان من حيث معناه وقيمه اجتماعيا وسياسيا" (17) ب- أخطاء التنظير القيمي: تظهر هذه الأخطاء والتجاوزات الناتجة عن تأثيرات المنهجية الوضعية على الأدبيات النظرية لعلم السياسية في بعدها الداخلي أو في بعدها الخارجي، ففي حقل العلاقات الدولية، يرى "هاماتي، أتايا"، "Inanna, Hamat-Ataya" أن الأدبيات الأولى المرتبطة بفترة ما بين الحربين كانت محتفظة بالجوانب القيمية (التاريخ والأخلاق) غير أنه و بانتقال علم العلاقات الدولية من بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أعقاب نهاية الحرب العالمية الثانية، أكد "جورج كينان"، "George, Kennan" أن "المصالح الوطنية هي التي ينبغي أن تشغل بها الحكومة نفسها-و المتمثلة في الأمن العسكري وتكامل الحياة السياسية ومنفعة الوطن -لا صلة لها بالقيم الأخلاقية ولا صفة أخلاقية لها، هذه هي الضرورات التي لا مفر منها للوجود الوطني، وهي لا تخضع لتصنيفات "خير" و "سيء"، كما ذهب كل من "جون، قرينغ"، "John, Gerring" و "جاشوا، ياسنويتس"، "Joshua, Yasnowitz" لاستعراض الكيفيات المستخدمة في تحليل السلوك السياسي الداخلي للدولة(العملية الانتخابية) (18) وكانت الدعوة لضرورة تحييد النظرية السياسية من كل ما هو "قيمي" بحكم أن القيمة تقع ضمن مبحث الفلسفة السياسية وما يجب أن يكون .

تشير هذه النماذج النظرية لكل من أتايا، كينان و قرينغ- ياسنويتس للتعامل مع القيم وفق مؤشرات عددية أو حتى إخضاعها للتجريب، لهيمنة المنهجية الوضعية ذات الأبعاد المادية المختزلة للأبعاد الغائية والمقاصدية للإنسان، حيث أن دراسة القيم وفق المنهجية الغربية معناه وجود حالة من تنافي هذه الأبعاد المادية مع مهمة الإنسان الحضارية في الاستخلاف وال عمران .

تظهر أخطاء التنظير في المنهجية الغربية من خلال :

أ-قيم النسبية ونسبية القيم : يعد مدخل "نسبية القيم" من المداخل التي تحاول تحييد القيم -تنظريا -فالنسبية تستبعد الثبات وتنفي الإطلاق جاعلة القيم مرتبطة بالواقع السياسي الداخلي أو الخارجي المتغير في أغلب أحواله، فينتج، تباعية القيم لمتغيرات أكثر أهمية تدخل ضمن فرضيات النظرية الواقعية : القوة: هي قيمة أساسية والمصلحة قيمة محددة.

لقد أدت الثنائية المنهجية للمنظومة الغربية : إطلاقية النسبي ونسبية المطلق لظهور جملة من الاستنتاجات هي:

- الفصل بين القيم الأخلاقية والقيم السياسية بعد تداخلهما -تاريخيا- فأضحت القيم الأخلاقية خاضعة للنسبية (حسابات القادة).

- أصبح التعامل مع القيم في طبيعتها مشحونا بحمولات العوالة وما تستلزمه من إنتاج مفاهيم قيمية براجماتية وحتى صراعية .

(17) ريمون، بولان، الأخلاق والسياسة، تر: عادل العوا (دمشق: دارطلاس، 1988) ص 270 .

(18) John, Gerring, Joshua, Yasnowitz, A normative turn in political science, polity, vol 38, no1, January 2006, p 28 .

ب-إجرائية القيم: عمدت الأدبيات النظرية الغربية المهتمة بدراسة القيم لإخضاع هذه الأخيرة للقياس و التكميم، فمع بروز دراسات التنمية و التخلف، نشأ اتجاه في دراسة التخلف عرف ب: " اتجاه المؤشرات" (19) وهو اتجاه يدل على التخلف من خلال عدد من المؤشرات الكمية و الكيفية، وبناء على هذه المؤشرات، ستحول القيم من إجرائيتها لقيم وسائلية، فأصبح الحديث ضمن "بروسترويكا علم السياسة" عن مزج بين المناهج الكيفية و المناهج الكمية في التعامل مع القيم .

3-أخطاء الواقع القيمي:

إذا كان النسق النظري الغربي قد انطلق من نسبة القيم على المستوى الأكاديمي

فإن إسقاط هذه النسبية على أرض الواقع، ينتج ما يلي:

أ-التحول عن وظيفة القيم: تحولت وظيفة القيم من التدافع، التحفيز و الارتقاء إلى وظيفة التبرير السياسي داخليا و خارجيا، حيث أصبحت القوة تتحكم بجوهر القيم، فبرزت مقولات عاكسة لهذا الإسقاط في أدبيات الفكر السياسي الغربي مثل: الأمر الواقع، قيمة القوة و التي عبر عنها "نعوم تشومسكي" ب" الحاجة للاستعمار" (20).

ب-تنميط مفردة القيم: تتميز القيم المركزية بدور توليدي لقيم فرعية تدور في فلك القيم الأم تتفاعل معها، غير أن حالة الانفصال الذي حدث في بداية عصر الأنوار بين القيم الأخلاقية و القيم السياسية، جعلت القيم المركزية أقرب لشعارات متأثرة بمفهوم القوة، حيث تعد النظرية الواقعية أحسن تعبير عن هذا التنميط، إذ أصبحت القوة متغير ثابت مغلف بعناصر قيمية، جعلت الممارسات السياسية داخل الدولة أو في إطار العلاقات الدولية تطغى عليها جوانب القوة و أن العلم الذي يدرس تفاعلات القوة هو علم دراسة القوة،

و قد عمدت القوى المهيمنة على الواقع الدولي –و بفعل العامل التكنولوجي – لتأسيس واقع يربط بين علم دراسة القوة و الواقع (الثورة المعلوماتية) و كانت النتائج –بحسب تشومسكي –إقرار هندسة القبول بقبول ما لا يقبل (21).

ج-التمهيش الواقعي لمفردة القيم: يرى مالك بن نبي أن علاقة القيم بالفرد، تولد نوعين من الأفكار: "الأفكار القاتلة و أصلها المستعمر و تتجسد في "القابلية للاستعمار" و الأفكار الميتة المرتبطة بتركيبية المجتمع الداخلية و هي أخطر من الأولى، لكونها مثال عن السلبية في عملية النهوض.

لقد فرضت القوى الاستعمارية معادلات خاطئة في التعامل مع مستعمراتها، حيث أصبحت معادلة: "الحق –القوة واهنة أمام معادلة "القوة –الحق" فحدثت عملية تمهيش للقيم النهضوية في العالم العربي –الإسلامي، بحكم أن أغلب دوله عرفت الظاهرة الاستعمارية، ففضلا عن الأفكار الميتة التي يتخبط تحت نتائجها السلبية، يجثم الاستعمار بأفكاره القاتلة على بواعث نهوض العالم الإسلامي.

يمكن القول أن تعامل المنظومة الفكرية الغربية مع القيم كان مع البدايات الأولى لظهور المنهجية الوضعية، حيث باتت القيم موضوعا خاضع للتجربة و القياس شأنه في ذلك شأن الظواهر الطبيعية أو الرياضيات، فانجر على ذلك، بروز قصور نظري لأدبيات العلاقات الدولية ناتج عن الرؤية الاختزالية للمنظورات المادية للواقع الدولي، و أن أكبر تحدي واجهته هذه الأدبيات، يتمثل في عدم القدرة على التنبؤ بنهاية الحرب الباردة .

(19) سيف الدين عبد الفتاح، إسماعيل، بناء المفاهيم الإسلامية السياسية "ضرورة منهجية" (في) مجموعة باحثين، المنهجية الإسلامية و العلوم السلوكية و التربوية، بحوث و مناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، ط2 (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994) ص 605 .

(20) نعوم، تشومسكي، السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم، تر: سامي الكعكي (بيروت: دار الكتاب العربي، 2004) ص 76 .

(21) نعوم، تشومسكي، إعاقة الديمقراطية: الولايات المتحدة و الديمقراطية، تر: مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1992) ص 225 .

4-القيم في المنظومة النظرية الإسلامية:

أ-في مصادر القيم :

○ المصادر الأصلية: تنقسم المصادر الأصلية إلى القرآن الكريم و السنة النبوية :

❖ القرآن الكريم: تشمل الوحي الذي على رأسه القرآن الكريم، حيث يعد هذا الأخير إطارا مرجعيا بما يتضمن من عناصر هي :

- التوحيد: تقوم عليه المتغيرات التأسيسية الأخرى .

- الاستخلاف: هو الغاية من السلوك البشري و مقياس الأمانة.

- الأمة: تمثل وعاء الاستخلاف و أدواته.

- الشريعة: تأتي لتؤمن للأمة و سائط بلوغ المهمة .

يمثل هذا الإطار المرجعي خلفية تأسيسية مصدرها الرؤية القرآنية المتميزة عن الخلفية المادية، فهي منبثقة عن عقيدة التوحيد التي تنتظم حولها بقية المفاهيم الأخرى و تستند إليها القيم من خلال :

● تشكل القيم البواعث و المنطلقات و الأبعاد المعنوية للفعل الإنساني و أهدافه .

● الجماعة الحاملة لهذه المنظومة و المتفاعلة معها عبر إطراري الزمان و المكان.

❖ السنة النبوية: تعرف السنة على أنها كل ما صدر عن الرسول (ص) أو تعلق به -غير القرآن- من قول أو فعل أو تقرير أو فعل خلقي⁽²²⁾.

❖ المصادر المشتقة (التراث) : تتكون من رافدين :

الأول: ينحصر التراث الحضاري بمختلف إبداعاته و هو نتيجة تفاعل في الزمان و المكان.

الثاني: هو نتيجة الخبرة و محصلة تفاعل الأمة التي أوجدها الإسلام.

يعد التراث بمثابة الرافد الأساسي للحديث عن الخبرة الإسلامية، فهو عقل الأمة و وعيها و تجربتها في التعامل مع السنن الإلهية في الكون، الحياة و الإنسان.

ب-في إقترابات دراسة العلاقات الدولية من مدخل التراث السياسي: يمثل التراث السياسي للمسلمين الفضاء النظري و المعرفي التي تتفاعل فيه القيم مع واقع المسلمين، و تتضح الدراسة من خلال النماذج التالية:

➤ أنموذج منى أبي الفضل: يعد التراث السياسي الإسلامي -كما أشرنا- من مصادر التنظير التي تستند إليها القيم في تفسير الظاهرة السياسية الدولية، حيث تتعامل منى أبو الفضل مع التراث عبر مقارنتها بين الأنموذج المعرفي الإسلامي (التوحيدي -الرأسي) و الأنموذج المعرفي الغربي (العلماني -المتأرجح).

يكون التعامل مع التراث السياسي الإسلامي من خلال إعادة قراءته من داخل النسق المعرفي الإسلامي، لتحقيق ما يلي⁽²³⁾ :

- كشف العيوب المنهجية لقراءات إستشراقية ذات عواقب سياسية بالنسبة لفهم التاريخ.

- فهم خصائص الأوضاع الراهنة .

- تحقيق قراءة الفكر السياسي الإسلامي من منظور خاص به.

⁽²²⁾ أحمد، عبد الونيس شتا، السنة النبوية كمنهج لدراسة العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية (في) نادية، محمود مصطفى، المداخل

المنهجية للبحث في العلاقات الدولية في الإسلام (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996) ص 93.

⁽²³⁾ منى، أبو الفضل، إطلالة منهجية على مصادر التراث الإسلامي (في) محمد، نصر عارف، في مصادر التراث السياسي الإسلامي

(واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994) ص 9.

تدعو متى أبو الفضل إلى وقف الاجترار السلبي للتراث، و كشف بالمقابل صفة "التحيز" في مجال علم السياسية و الناتجة عن هيمنة الأنموذج المعرفي الغربي بصورته المادية، حيث همد لاستلاب الذات الحضارية، كما دعت أبو الفضل ل"التجديد الإحيائي لهوية الأمة" عن طريق تشجيع "الدراسات الحضارية المقارنة" في حقل العلوم السياسية (النظم السياسية المقارنة، الفكر السياسي، النظرية السياسية،...) و بالتالي تجسيد رؤية متكاملة النظر للظاهرة السياسية يترابط فيها القيمي و المادي و الجزئي و الكلي على حد السواء.

➤ أنموذج حامد ربيع: يمثل "حامد ربيع" مرحلة تثويرية في دراسة الفكر السياسي على مستويين⁽²⁴⁾:

• مستوى أهمية ووظيفة التراث: استدعى حامد ربيع "التراث السياسي الإسلامي" إلى قلب الدراسات السياسية، معتبرا إياه مصدرا للتنظير للظاهرة السياسية بكل أبعادها الداخلية و الخارجية على حد السواء، و أن دراسة حامد ربيع للتراث السياسي نابع مع الاعتبارات التالية:

▪ أنموذج للعالم الدارس في الأول للعلوم عند الغرب و المتفاعل معها، غير متناس لعلوم دائرته الحضارية .

▪ تحقيق الاهتمام بالحضارة الذاتية من خلال العلم بعيدا عن الحماس، الانفعال و العاطفة.

• مستوى الدراسة المنهجية للتراث: ينطلق حامد ربيع من اعتبار الظاهرة السياسية (السلطة مثلا) ظاهرة ذات امتدادات خارجية، يمكن دراستها من خلال الجواب التالية :

▪ الجانب الأول: يميز حامد ربيع في دراسته للتراث السياسي الإسلامي بين : تراث الفكر، تراث الخبرة و تراث النظم معتقدا أنه لا يمكن الفصل بين هذه الروافد، كما فرق -في تعامله مع مصادر التراث -بين مصادر تراثية و أخرى معاصرة و بين مصادر متعددة المستويات، مؤكدا على الرؤية الكلية للمصادر، كما أوضح أن عملية رسم خريطة مصادر التراث السياسي الإسلامي ليست قضية فنية، بل مسألة معرفية، فكرية و نظرية بالدرجة الأولى .

▪ الجانب الثاني : مكانة علم العلاقات الدولية في إسهامات حامد ربيع التراثية : اهتم حامد ربيع بالظاهرة السياسية في أبعادها الدولية من خلال :

- بناء المفاهيم الحضارية الكبرى .

- توظيف التراث في الدراسات السياسية (بناء الدولة العصرية، القيم السياسية، الإسلام و القوى الكبرى و مستقبل الإسلام السياسي) كما تعامل مع عالم الأفكار (أمي أمة القيم، أمي و العالم، الوظيفة الكفاحية للعالم) كما اشتغل بعالم الرموز و الأشياء و النظم (المؤسسات الحضارية للأمة، الوظيفة الحضارية، مادة الفعل الحضاري، علامات الجماعة و هويتها، مظاهر الانتماء الحضاري و ذاكرة الأمة الحضارية،...)

➤ أنموذج سيف الدين عبد الفتاح: يقدم سيف الدين عبد الفتاح في دراسة بعنوان: "الاتجاهات الحديثة في دراسة الفكر السياسي⁽²⁵⁾ مفهوما حضاريا متسعا للفكر الإسلامي، يقوم على ما يلي :

○ اتساع الإطار المفاهيمي للفكر الإسلامي: جمع سيف الدين، عبد الفتاح بين الدراسات التراثية و الدراسات الإستشراقية المتعلقة بدراسة الفكر السياسي الإسلامي الحديث و المعاصر .

- تعريف السياسي: صار تعريف "السياسي" اتجاها مهما تسير إليه العلوم الإنسانية القائمة على دراسة الظاهرة السياسية، فتعني السياسة: "القيم بالأمر بما يصلحه و رعاية شؤون الدولة و الأمة".

⁽²⁴⁾ حامد، ربيع، مدخل إلى دراسة التراث السياسي الإسلامي، تحرير و تعليق سيف الدين عبد الفتاح، إسماعيل، ج1+ج2 (القاهرة: دار الشروق الدولية، 2007) ص 67 .

⁽²⁵⁾ سيف الدين عبد الفتاح، إسماعيل،الاتجاهات الحديثة في دراسة الفكر السياسي الإسلامي (في) علي الدين، هلال، محمود، إسماعيل (محرران)،اتجاهات حديثة في علم السياسة(القاهرة: المجلس الأعلى للجامعات، 1999) ص 8 .

يؤدي هذا الاتجاه في مفهوم السياسة لمناقشة قضايا انتشار السلطة، تعدد القوى و الإرادات السياسية بعيدا عن المفهوم الهرمي و التقليدي للسلطة، فتشير إذن لمعاني التدبير و الحركة (توجيه الحركة نحو المقاصد، الغايات و المصالح).

- تعريف الإسلامي: يرى سيف الدين أن هناك اضطراب يحيط بتعريف "الإسلامي" «: فهل يشير إلى دائرة بحثية ؟ أو الإشارة إلى القائم بالبحث ؟ أو مرتبط بمنهجية يعيها أو بأصول مرجعية ؟

لقد كان الفكر السياسي الإسلامي محل وصف متعارض من طرف دارسيه: Moslim, Islamist, Islamic,... الأمر الذي جعل سيف الدين عبد الفتاح يقر بضرورة تحرير معاني الفكر الإسلامي مما علق به من أوصاف⁽²⁶⁾، كما قدم فروقا بين الفكر الإسلامي كمنطقة بحثية و بين تقويم توجهات دراسته من خلال الالتزام بقواعد المنهجية التأصيلية.

يتصف الفكر بكونه نتاج ثقافي و حضاري خاضع لتنوع الظروف و البيئات و الأزمنة و كفاءات التعامل معه منهاجيا، إلا أنه يظل فكرا إسلاميا حتى لو قام به غير المسلمين، لأنهم يمثلون جزءا من الحضارة الإسلامية و أن الفكر السياسي الإسلامي يدخل ضمن دائرة اختصاصهم و بحثهم.

- قدرات تفسير الحركة في إطار الفكر السياسي الإسلامي: يرى سيف الدين عبد الفتاح أن هناك أنموذجين في تفسير الظواهر السياسية: النظريات الوضعية و ما بعد الوضعية من جهة و أنموذج إسلامية المعرفة إضافة لمدارس أخرى تفسيرية متعددة، غير أن هذا التعدد في تقديم التفسيرات يقتضي أخذ بعين الاعتبار ما يلي المنهجية المقارنة للمفاهيم بين مختلف المدارس، الإطار التفسيري المتعلق بمدرسة التجديد الإسلامي، الإطار التفسيري المتعلق بسياقات العولمة، الإطار المتعلق بدراسة المناطق في سياقات تاريخية أو ضمن أطر معاصرة أو في ظل استدعاء التاريخ لفهم الحاضر.

○ دراسة الفكر السياسي في الحالة الراهنة: يرى سيف الدين عبد الفتاح أن سمات الفكر السياسي الإسلامي في الحالة الراهنة، تستوجب ما يلي⁽²⁷⁾:

- توجيه البحوث نحو الموضوعات الحركية: يتضمن التوجيه تحويل الاهتمام نحو:
 - الأبعاد الفكرية على حساب الأبعاد الحركية، حيث أضحى الفكري لا يستدعي إلا في حدود ما يطلبه الحركي، فعدا هذا الأخير متغيرا داعيا في حين صار الفكري مستدعي.
 - تزايد الاهتمام بالموضوعات ذات البعد الحركي (الإسلام السياسي، الأصولية) و تراجع الاهتمام بالأبعاد الفكرية.
 - تحريك أجندة البحث نحو "الآني" على حساب الدراسات التاريخية.

- توجيه الرؤية الإستشراقية نحو دراسة الفكر السياسي الإسلامي: اتجه الإستشراق نحو تناول موضوعات ذات طبيعة أنبية و معاصرة في إطار دائرة الإسلام السياسي مثل المستشرق الهولندي "هانسن، يانسن"، "Hans, Jensen" الذي يكتب عن الأصولية، إضافة لـ "مونتغومري وات،

- "Montgomery, Watt" الباحث في مجالات الفكر السياسي الإسلامي، فضلا عن كتابات "برنارد لويس"، "Bernard Lewis" الذي بحث مبكرا في قضايا الشرق الأوسط.

إذا كانت النماذج الغربية في دراسة القيم لكل من "أتايا، كينان و فرينغ-ياسنوتيس" و تحت تأثير الوضعية قد تم إفراغ القيم من محتواها الغائي و المقاصدي، فسيطرة المنظورات المادية المشحونة بحمولات القوة و الصراع في

⁽²⁶⁾ مرجع، سابق، ص 8.

⁽²⁷⁾ مرجع، سابق، ص ص 26-27.

تحليل الواقع الدولي، كما أنه بفعل تأثير هذا الإطار النظري، يتولد لدى صانع القرار حتمية الصراع كرؤية ضابطة لحركته ووجدانه، وما حالة تزايد الحروب والصراعات إلا دليل على سيطرة هذه القيم المادية. نلاحظ أن الفكر السياسي الإسلامي وجد في تراثه السياسي منظومة قيمية، جعلت كل من "مبنى أبي الفضل حامد ربيع وسيف الدين عبد الفتاح" يتجهون نحو إعادة قراءته واشتقاق القيم الباعثة على النهوض واستعادة المكانة،

يمثل التراث السياسي الإسلامي أنموذجا إرشاديا في تقويم حالة العالم الإسلامي الواهية، وأن عملية استدعائه في المرحلة الراهنة معناه إعادة الاعتبار للقيم في بناء النظرية السياسية البديلة وإعادة ترتيب الواقع السياسي الإسلامي بما يضمن تحقيق العمران والاستخلاف.

5- في نتائج علاقة القيم بعلم العلاقات الدولية في إطار المنظومة الفكرية الإسلامية:

تقوم العلاقة بين القيم وعلم العلاقات الدولية على البحث في التراث السياسي الإسلامي على استنساخ جملة من المفاهيم والأبنية التي يمكن توظيفها على مستوى الأدبيات النظرية للعلوم الاجتماعية (سياسة، اقتصاد، علم اجتماع تربوية، علم نفس، ...) بهدف تحقيق التمايز والغيرية الحضاريتين.

ومن أبرز المفاهيم التي يمكن توظيفها في حقل العلوم السياسية:

أ- تفعيل الفكر المقاصدي في الدراسات السياسية: إذا انطلقنا من كون المقاصد الضرورية تتمثل في "الكليات العامة والأصلية"⁽²⁸⁾ من حفظ للدين، النفس، العقل، العرض والمال، فإن قيامها لا يوكل للفرد وحده وإنما للأمة كلها، فتعهد السلطة للفرد عن طريق الأمة.

إذا كانت السلطة السياسية تقع ضمن جوهر علم السياسة، فإنها في نفس الوقت ضرورة من ضرورات الدين وأن تأسيس الدولة في الإسلام هو أحد مقاصد الشريعة الإسلامية: أي أن السياسة نابعة من الإسلام ذاته وأن سياسة الحاكم مصدرها الدين، وعليه، فمصالح الدين لا تقوم إلا بمصالح الدنيا، وأنه لا فصل بينهما في إطار الفكر السياسي الإسلامي.

• المجالات الحضارية لعلم السياسة: يقوم علم السياسة -وفق الرؤية المقاصدية - بترتيب كلياته الخمسة باعتبارها الركائز الجوهرية في بناء الحضارة واستمرارية الأمة، ويتمثل هذا الترتيب في:

- حفظ الدين: أي الاهتمام بالمرجعية الكلية التي هي أصل حفظ النظام العام في المجتمع.
- حفظ النفس: العمل على توفير الوسائل المتعلقة بحقق الدماء، وهذا معناه المسؤولية الجماعية على أي فقدان للجماعة الإنسانية، وأن تحقيق الوسائل لا يرتبط فقط بتوفير الأمن، بل يجب ابتداء سياسات اقتصادية واجتماعية لضمان إدماج الفرد داخل منظومة الجماعة.
- حفظ النسل: يتعلق بحياة الأسرة وعمران الدنيا.
- حفظ العقل: يتعلق بمراعاة السياسات التالية: السياسة التعليمية، السياسة الثقافية والسياسة الإعلامية.
- حفظ المال: يرتبط المال بالجوانب المادية التي تتعلق بعمران الإنسان واستثماره في باب التنمية أين تعود بالإيجاب على ذات الإنسان وأمتة وإنسانيته.

• المزوجة بين المجالات الحضارية: تؤدي عملية التشابك الثنائي، الثلاثي والرابعي بين المجالات الحضارية لتوليد مجالات حركية جديدة، مؤسسات فاعلة وعلاقات كلية من شأنها تقديم البعد الاجتهادي للمقاصد.

• أمثلة عن المزوجة بين المقاصد: تولد عملية المزوجة بين المقاصد الخمسة، مساحات الحفظ التالية:

(28) سيف الدين عبد الفتاح، إسماعيل، الرؤية المقاصدية وكيفية تفعيلها، بحث ملقى في دورة: كيفية تفعيل القيم في البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، فيفري 2010، ص 5.

- العمران - الاستخلاف - الدعوة

التوازن الثنائي بين العقل والدين :

- الابتكار والبحث العلمي - الاجتهاد والتجديد - الإبداعات الفكرية

التوازن الثنائي بين النسل والمال يولد :

- العدالة الاجتماعية والعدالة الجيلية - التنمية المستدامة - رأس المال البشري ورأس المال الاجتماعي

ب- علاقة السنن الحضارية بعلم العلاقات الدولية: يرى "عبد العزيز، برغوث" أن منهجية التعامل مع السنن الحضارية يكون بالطريقة التالية⁽²⁹⁾:

تعتبر السنن عن تركيب متكامل، فهي ليست قواعد وأسس عامة تحكم الكون والحياة وتفسرهما، فمثلا عند التركيز على مصدر السنن (القرآن الكريم) فإن علاقة السنن بالقيم تأخذ الأبعاد التالية: الخلق، الإرادة، الحكمة، المشيئة، التدبير، أما النظرة المادية للعلاقة، فإن التركيز يتجه نحو: الإنسانية، المقصد، التعاون ... يرتبط الإنسان بدوره بمنظومة السنن، فيكون الحديث عن الوعي، التبصر، العلم، العمل، الاستكشاف، التسخير، المنهج، الأنموذج الواجب الإلتزام، القيم السلوكية والعملية التي يمكن اشتقاقها من السنن لتنظيم حياة الفرد، الأمة والإنسانية...

يحمل تاريخ الشعوب و الأمم بدوره أبعادا سننية تتمثل في كيفية صناعة التفوق والريادة، مختلف التطبيقات الفعلية لحركة الاستخلاف و العمران و تطوير مناهج الاعتبار و الاستفادة من التجارب و الخبرات، فبقدر، تشبع الأمم بمنظومة القيم، بقدر ما يكون الفعل ألسني أقرب للإعمار و البناء و سيادة منظومة التعاون و التكافل و العرفان على حساب منظمة القوة - الصراع و الاستعمار التي نشهد محدوديتها في إدارة العلاقات الدولية .

الخلاصة:

يمكن القول في الأخير أن المنظومة المعرفية الغربية بدأت تعرف تآكلا على مستوى أبنيتها المنهجية، خاصة في ظل تأثير المنهجية الوضعية في بناء العلوم داخل هذه المنظومة، و أن علم العلاقات الدولية لا يخرج عن هذه القاعدة، حيث تنامي الاهتمام بمتغيرات: القوة، الصراع، الحرب، فأضحت الرؤية الغربية للعالم والعلاقات الدولية قائمة على فلسفة الصدام و المواجهة، فتزايدت بذلك الحروب و النزاعات على حساب مبحث القيم، حيث تمثل هذه الأخيرة إطارا مرجعيا موجها للسلوك و ضابطا للحركة في أدبيات الفكر السياسي الإسلامي، بل أن ضرورات العقل اليوم، تقتضي إعادة قراءة التراث برؤية حاضرة لاشتقاق القيم الإيجابية المساعدة على استعادة دور الحضارة الإسلامية في الشهود الكوني .

قائمة المراجع :

1-المصادر: القرآن الكريم

2-القواميس:

- ابن منظور، لسان العرب، ط4 (المجلد الثاني عشر(بيروت: دار صادر، 2005م).

3-الكتب:

-أمزيان محمد، محمد، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، ط4 (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2008).

⁽²⁹⁾ عبد العزيز، برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة عشر، العدد 49 صيف 2007، ص 41 .

- أبو الفضل، منى، إطلالة منهجية على مصادر التراث السياسي الإسلامي (في) محمد، نصر عارف، في مصادر التراث السياسي الإسلامي (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994م).
- إسماعيل، سيف الدين عبد الفتاح، القيم السياسية في الإسلام (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2001 م).
- ، -----، الاتجاهات الحديثة في دراسة الفكر السياسي الإسلامي (في) علي الدين هلال، محمود إسماعيل (محرران)، اتجاهات حديثة في علم السياسة (القاهرة: المجلس الأعلى للجامعات، 1999 م).
- إمام، عبد الفتاح إمام، الأخلاق والسياسة "دراسة في فلسفة الحكم" (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2001م).
- بن نبي، مالك، شروط النهضة، تر: عمر مسقاوي و عبد الصبور شاهين، ط4 (دمشق: دار الفكر، 1987 م).
- بولان، ريمون، الأخلاق والسياسة، تر: عادل العوا (دمشق: دار طلاس، 1988 م).
- تشومسكي، نعوم، إعاقة الديمقراطية: الولايات المتحدة والديمقراطية، تر: مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1992م).
- ، ----، السعي الأمريكي للسيطرة على العالم، تر: سامي الكعكي (بيروت: دار الكتاب العربي، 2004 م).
- الجابري عابد، محمد، العقل الأخلاقي العربي، ج4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001 م).
- عبد الرحمن، طه، تعددية القيم: ما مداها؟ وما جدواها؟ (الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2001 م).
- شتا، أحمد عبد الونيس، السنة النبوية كمصدر لدراسة العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية (في) نادية، محمود مصطفى، المداخل المنهجية للبحث في العلاقات الدولية في الإسلام (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996م).
- ربيع، حامد، مدخل إلى دراسة التراث السياسي الإسلامي، تحرير وتعليق: سيف الدين عبد الفتاح، ج1+ج2 (القاهرة: دار الشروق الدولية، 2007 م).
- زيادة، رضوان، أتول، كيفن -جيه، صراع القيم (دمشق: دار الفكر، 2010 م).

3-المجلات:

- برغوث، عبد العزيز، ملاحظات حول السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة عشر، العدد 49، صيف 2007م.
- رجب، إبراهيم، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الأولى، 1996 م.
- المصري، خالد موسى، الوضعية ونقادها في العلاقات الدولية "دراسة نقدية للنظريات الوضعية"، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 30، العدد الأول، 2014 م.

4- المؤتمرات والدورات :

- إسماعيل، سيف الدين عبد الفتاح، الرؤية المقاصدية وكيفية تفعيلها (في) دورة كيفية تفعيل القيم في البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، فيفري 2010 م .
- ، -----، بناء المفاهيم الإسلامية السياسية "ضرورة منهجية" (في) مجموعة باحثين، المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية و التربوية، بحوث ومناقشات المؤتمر العالمي للفكر الإسلامي، ط2 (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994 م).
- مصطفى عبد الخالق، نيفين، مدخل لصياغة مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم "دراسة وتطبيق على علم السياسة" في مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، القاهرة، أكتوبر، 1992م.

5- المراجع باللغة الأجنبية :

ا-اللغة الفرنسية:

○ المجلات:

- Knafo, Samuel, y a-t-il une voie au-delà du positivisme , Revue : Etudes Internationales , vol 39, no 3, 2008.

ب- اللغة الإنجليزية:

— Gerring, John, Yesnowitz, Joshua, a normative turn in political science, polity, vol38, no 1, january 2006.